كونوا جعفريسين



الشيخ تامر حمزة

"يا جعفر، أوصيك بأصحابي خيرا ً"(1). لقد كشفت وصيّة الإمام محمّد الباقر لابنه جعفر الصادق عليهما السلام عن مدى اهتمام الأئمّة عليهم السلام بشيعتهم، وعن شدّة حرصهم على محبّيهم، وخاصّة في ظلّ ظروف ٍ سياسيّة، واجتماعيّة، وفكريّة غير خافية على أحد.

وهكذا فعل الإمام الصادق عليه السلام، حيث رسم المسار الواجب اتّباعه، وأعرب عن برنامجه المستقبليّ ليصنع من أصحابه النموذج الراقي، بخلق أجواء تنير العقول وتنشر القيم والأخلاق. وقد تمكّن عليه السلام من تربية أصحابه على الوعي، والبصيرة، والقوّة الإيمانيّة، وعلى القيم وحسن السيرة. وبناءً عليه، سوف نتحدّت عن ثلاثة أبعاد لو تمّّت لصنعت مجتمعا ً متميّزا ً يعتزّ الإمام الصادق عليه السلام بانتساب أفراده إليه إذا قيل: هذا جعفريّ.

* البُعد الأوّل: الوعي والبصيرة

إن "التشو"ه الفكري "الذي خلسفه بنو أميسة، وما بثه اليهود أيضا من إسرائيليات، مضافا "إلى دخول ثقافات متعد دة ومتناقضة، أدخلت المجتمع في عالم التيه والضياع، فالزندقة، والغلو "، والنصب، والجبر، والاعتزال، والرأي، والتشبيه، والتجسيم، وغير ذلك؛ جعلت مهم "ة الإمام الصادق عليه السلام لبناء مجتمع يتحل بالوعي والبصيرة صعبة "للغاية. ومع ذلك كلسه، تمك "ن عليه السلام من الوصول إلى هدفه. ولا بد " من تحديد مسار يسلكه الناس من خلال سد " جميع المصادر الفكرية، وعدم الأخذ إ "لا من طريق أهل البيت عليهم السلام. وقد أشار عليه السلام إلى ذلك بقوله: "أما وا ما أحد من الناس أحب "الي منكم، وأن "الناس قد سلكوا سبلاً شت "ى، فمنهم من أخذ برأيه، ومنهم من ات "بع هواه، ومنهم من ات "بع هواه، ومنهم من ات "بع المواية، وإن "كم أخذتم بأمر له أصل (2).

وعنه عليه السلام أنّه قال: "أيّتها العصابة، عليكم بآثار رسول ا□ صلى ا□ عليه وآله وسلم وسنّته، وآثار الأئمّة الهداة من أهل بيت رسول ا□ صلى ا□ عليه وآله وسلم من بعده وسنّتهم، فإنّه من أخذ بذلك فقد اهتدى، ومن ترك ذلك ورغب عنه ضلّ"(3).

* البُعد الثاني: البناء الروحيّ

ونقصر البحث على ثلاثة عوامل:

1- العامل الأوّل: العبادة

الروح كالبدن، لها غذاؤها وهو التزكية، وقد يأتي عليها ما يُضعفها ببُعدها عن بارئها. وهنا يتجلّى دور الإمام الصادق عليه السلام ككلّ الربّانيّين والمربّين من أنبياء وأوصياء وعلماء؛ إذ جلّ همّهم يصبّ في تكامل الناس في ساحة القُرب الإلهيّ بالعبادة، والقيام □ وحده لا شريك له. وسنشير هنا إلى بعض مفردات تربيته: أو ّلاً: تأكيده عليه السلام الدائم على تقوى ا∏ والورع في دينه، وهذا يظهر جلياً ً في بداية كلّ خطاب وموعظة.

ثانياً: تأكيده عليه السلام على تلازم الإيمان با مع العزّة، كما في قوله عليه السلام: "إنّ ا فوّض إلى المؤمن أمره كلّه، ولم يفوّض إليه أن يكون ذليلاً، أما تسمع ا تعالى يقول: و َلَلَّه، ولم يفوّض إليه أن يكون ذليلاً، أما تسمع المؤمن يكون عزيزاً ولا يكون الدعررّة و و لررس ولره و و لريلاً، ثمّ قال: المؤمن أعزّ من الجبل والجبل يستقل منه بالمعاول، والمؤمن لا يستقل من دينه شيء"(4).

ثالثا ً: دعوته عليه السلام المؤمنين إلى ضرورة الخوف من ا□، فعن الهيثم بن واقد قال: "سمعت أبا عبد ا□ عليه السلام يقول: من خاف ا□ أخاف ا□ منه كلّ شيء، ومن لم يخف ا□ أخافه ا□ من كلّ شيء"(5).

رابعا ً: تعليمه عليه السلام أن يكون العبد في حال ٍ تؤهّله للقرب من ا الكحاله في السجود، فعن سعيد بن يسار قال: "قلت ُ لأبي عبد ا العليه السلام : أدعو وأنا راكع أو ساجد؟ فقال عليه السلام : نعم، ادع ُ وأنت َ ساجد، فإن ّ أقرب ما يكون العبد إلى ا الوهو ساجد، ادع ا الدنياك وآخرتك "(6). وقال عليه السلام : "أقرب ما يكون العبد إلى ا وهو ساجد، فادع ا الرزق "(7).

خامساً: وضعه عليه السلام الصلاة معياراً للإيمان والتشيّع الحقيقيّ: فقال عليه السلام: "امتحنوا شيعتنا عند مواقيت الصلاة وكيف محافظتهم عليها"(8). سادساً: اهتمامه عليه السلام بالأدعية والمناجاة، وقد وصلنا عنه عليه السلام أثر كبير منها، وقد عليه ما يسامه عليه السلام عليه السلام عليه السلام عليه السلام وأرشدهم إليها، وهي لا تقل عددا عما عددا أو مناجاة ومن العابدين عليه السلام وعاء أو مناجاة ومن تلك النماذج ما يُستحب ذكره في رجب، وهو دعاء يتضم للطائف عرفانية، حيث يقول عليه السلام: "يا من سما في العز ففات خواطر الأبصار، ودنا في اللهف فجاز هواجس الأفكار، يا من توح من الملك فلا ند له في ملكوت سلطانه، وتفر و بالآلاء والكبرياء فلا ضد له في جبروت شأنه، يا من حارت في كبرياء هيبته دقائق لطائف الأوهام، وانحسرت دون إدراك عظمته خطائف أبصار الأنام (9).

2- العامل الثاني: تعهّد القرآن الكريم

لقد عظ م أبو عبد الله الصادق عليه السلام القرآن الكريم في نفوس المؤمنين؛ لكي يعتصموا به ويكون مورد اهتمامهم دائما عفطا وقراءة وعملا به، ومن ذلك ما ورد عنه في عظمته وشأنه ما أورد الكليني عنه عليه السلام بسنده المتسل به: "إذ جمع الله عز وجل الأو لين والآخرين إذا هم بشخص قد أقبل، لم ير قط أحسن صورة منه، فإذا نظر إليه المؤمنون قالوا: هذا منا، هذا أحسن شيء رأينا، فإذا انتهى إليهم جازهم، ثم ينظر إليه الشهداء حتى إذا انتهى إلى آخرهم جازهم فيقولون: هذا القرآن، فيجوزهم حتى ينتهي القرآن، فيجوزهم حتى ينتهي إلى المرسلين، فيقولون: هذا القرآن، فيجوزهم حتى ينتهي إلى الملائكة فيقولون: هذا القرآن، فيجوزهم ثم ينتهي حتى يقف عن يمين العرش، فيقول الجبار:

وأمّا حول تعلّمه، فقال عليه السلام : "ينبغي للمؤمن أن لا يموت حتّى يتعلّم القرآن، أو يكون في تعلّمه"(11).

وأمّا عن حفظه والنظر فيه، فروى إسحاق بن عمّار بن أبي عبد ا□ قال: قلت: جُعلت فداك، إنّي أحفظ القرآن عن ظهر قلبي، فأقرأه عن ظهر قلبي أفضل أو أنظر في المصحف؟ فقال لي عليه السلام : "لا، بل اقرأه وانظر في المصحف عبادة؟"(12).

3- العامل الثالث: النهضة الحسينيّة

لقد اشتهر قول الإمام الصادق عليه السلام في إحياء النهضة الحسينيَّة، وتوارثته أجيال الشيعة جيلاً بعد جيل: "يا فضيل، هذه المجالس أُحبَّها، أحيوا أمرنا رحم ا□ من أحيا أمرنا"(13).

فقد حثّ الإمام الصادق عليه السلام أصحابه على تمتين أواصر العلاقة بالنهضة الحسينيّة، كما جاء في بعضها: "مَن سرَّه أن يكون على موائد النور يوم القيامة فليكن من زوّار الحسين بن عليّ عليه السلام "(14).

وعنه أيضا ً مخاطبا ً أبا هارون المكفوف: "يا أبا هارون، من أنشد في الحسين شيعرا ً فبكى وأبكى... واحدا ً، كُتبت له الجنّة"(15).

البُعد الثالث: البعد الأخلاقيِّ والقي َميِّ

لم يقتصر جهد الإمام الصادق عليه السلام في تربية شيعته على أسلوب ٍ واحد، بل استعمل أساليب متعدّدة وطرقا ً متنوّعة لتربية الفرد ثمّ المجتمع بما ينسجم مع تعاليم القرآن وأخلاق أهل البيت عليهم السلام. منها:

أو "لا ً: التزكية الذاتي "ة

ولج الإمام عليه السلام بوصاياه إلى باطن الإنسان لتطهيره من رذائل الأخلاق أو ّلا ً، ثم ّ وضع النواة الطيّبة لتثمر سلوكا ً مستقيما ً ثانيا ً. ومن تلك النماذج التربويّة ما ورد عنه: "إنّما ينجو من أطال الصمت عن الفحشاء، وصبر في دولة الباطل على الأذى، أولئك النجباء الأصفياء الأولياء حقّا ً وهم المؤمنون. إن ّ أبغضكم إلي ّ المترئسون المشاؤون بالنمائم، الحسدة لإخوانهم، ليسوا منسي ولا أنا منهم"(16).

وقال عليه السلام أيضا ً: "من لم يبال ِ ما قال وما قيل فيه فهو شرك الشيطان، ومن لم يبال ِ أن يراه الناس مسيئا ً فهو شرك الشيطان"(17). وقال عليه السلام : "احذروا أهواءكم كما تحذرون أعداءكم، فليس أقتل للرجال من اتّباع الهوى وحصائد اللسان"(18).

ثانياً: العلاقة الأخويّة

عن محم ّد بن مسلم: أتاني رجل من أهل الجبل فدخلت معه على أبي عبد ا□ عليه السلام ، فقال حين الوداع: أوص ِني، فقال عليه السلام : "أوصيك بتقوى ا□ وبر ّ أخيك المسلم، وأحب ّله ما تحب لنفسك، واكره له ما تكره لنفسك، وإن سألك فأعط ِه، وإن كف ّ عنك فاعرض عليه، لا تمل ّه خيرا ً فإن ّه لا يمل ّك، وكن له عضدا ً فإن ّه لك عضد، وإن وجد عليك فلا تفارقه حت ّى تحل ّ سخيمته (19)، وإن ْ غاب فاحفظه في غيبته، وإن شهد فاكنفه واعضده ووازره وأكرمه ولاطفه، فإن ّه منك، وأنت منه "(20).

وبموازاة ذلك، فإنّه عليه السلام يحذّر من هجران الأخ لأخيه حيث يقول: "لا يفترق رجلان على الهجران إّلا استوجب أحدهما البراءة واللعنة، وربّما استحقّ ذلك كلاهما، فقيل له: هذا الطالم فما بال المظلوم؟ قال عليه السلام : لأنّه لا يدعو أخاه إلى صلته ولا يتغامس (يتغافل) له عن كلامه"(21).

ثالثا ً: العلاقة الاجتماعية العامّة

قال الإمام الصادق عليه السلام لزيد الشحّام: "اقرأ على من ترى أنّه يطيعني منهم ويأخذ بقولي السلام، وأوصيكم بتقوى ا عزّ وجلّ، والورع في دينكم، والاجتهاد ، وصدق الحديث، وأداء الأمانة، وطول السجود، وحسن الجوار، فبهذا جاء محمّد صلى ا عليه وآله وسلم، أدّوا الأمانة إلى من ائتمنكم عليها برّاءً أم فاجراءً، فإنّ رسول ا صلى ا عليه وآله وسلم كان يأمر بأداء الخيط والمخيط، صلوا عشائركم [عشائرهم]، واشهدوا جنائزهم، وعودوا مرضاهم، وأدّوا حقوقهم، فإنّ الرجل منكم إذا ورع في دين ا وصدق الحديث وأدّى الأمانة وحسّن خلقه مع الناس، قيل: هذا جعفري"(22).

ختاما ً، بلغ الإمام الصادق عليه السلام بالشيعة إلى حيث يريدهم المجتمع القدوة بفضل جهده، وحقّق وصيّة أبيه الإمام الباقر عليه السلام، حيث أوجد القدوة الصالحة من شيعته بقوله: "فإن ّ أبي حد ّ ثني أن سيعتنا أهل البيت كانوا خيار من كانوا منهم، إن كان فقيه كان منهم، وإن كان مؤذ ّ نكان منهم، وإن كان الناس ولا تبغضّونا إليهم (23).

- 1- بحار الأنوار، المجلسي، ج47، ص12. الإرشاد، المفيد ج1، ص40.
 - 2- مرآة العقول، المجلسي، ج25، ص345.
 - 3- كفاية الأسر، 254. بحار الأنوار، ج47، ص15.
 - 4- تهذيب الأحكام، الطوسي، ج6، ص179.
 - 5- الكافي، الكليني، ج2، ص68.
 - 6- بحار الأنوار، المفيد، ج47، ص12.
 - 7- الإرشاد، المفيد، ج1، ص40.
 - 8- كفاية الأسر 254- بحار الأنوار، (م.ن)، ج47، ص15.
 - 9- مصباح المتهجّد، الطوسي، ص802.
 - 10- جامع أحاديث الشيعة، البروجرديّ، ج5، ص512.
 - 11- وسائل الشيعة، الحرِّ العاملي، ج3، ص83.

12- الكافي، (م.س)، ج2، ص602.

13- (م.ن)، ص52.

14- وسائل الشيعة، (م.س)، ج8، ص549.

15- كامل الزيارات، ابن قولويه، ص104.

16- بحار الأنوار، (م.س)، ج78، ص286.

17- وسائل الشيعة، (م.س)، ج11، ص273.

18- (م.ن)، ج8، ص534.

19- السخيمة: الحقد والضغينة.

20- وسائل الشيعة، (م.س)، ج8، ص549.

21- الكافي، (م.س)، ج2، ص344.

22- (م.ن)، ص464.

23- بحار الأنوار، (م.س)، ج74، ص164.

المصدر: مجلة بقية ا□